I- نشاط المنظمة

1- معالم الحضارة العربية الاسلامية في افريقيا

بقلم الدكتور محيي الدين صابر

(القى الدكتور محيي الدين صابر ، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بحثا فى المؤتمر العالمى بتاريخ الحضارة العربية الاسلامية الذى نظمته وزارة التعليم العالى فى دمشق فى الفترة : 20 — 26 ابريل 1981 ، نقدم خلاصته) .

الصلة بين العرب والافارقة قديمة ، قدم المنابت العربية فى الجزيرة وما حولها ، وقدم القارة الافريقية نفسها ، فكانت هناك طرائق اتصالات طبيعية ، البحر والصحراء ، اللذان تملك العرب وسائلهما منذ قديم، فلم تعد هناك عوائق فى الاتصال البشرى المباشر ، والاختلاط المبكر بين الافارقة والعرب . فالاختلاط البشرى بينهما سبق ظهور الاسلام بكثير من الزمن فى تعامل تجارى وفكرى وسياسى .

وجاء الاسلام ، فتغير مضمون هذا اللقاء واتخذ طابعا عالميا ، ودخل الاسلام الى افريقيا سالما ، وتلقاه الافريقيون ، واسهموا فيه اسهاما واسعا ، فعملوا على نشره ، والدفاع عنه ، واشتركوا فى الانتاج الفكرى الاسلامى ، فى جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية ، عن طريق علمائهم ومفكريهم ، وتبنوا كل مظاهر الحضارة العربية الاسلامية فى فنونهم ، وفى نمط حياتهم الاجتماعية ، وفى نظمهم السياسية. وظل هذا الوجود الاسلامى ، هو الوجود الحضارى السائد الذى اعطى لافريقيا طابعها الحضارى المميز، فلم يحدث لها مثل هذا التاثير الجماعى الذى تعرضت له الحضارة العربية الاسلامية من قبل ، على امتداد تاريخها الطويل . وقد ظلت المستقرات العربية منتشرة فى افريقيا وفى الجزر المتصلة بها ، حتى جاء الاستعمار الاوربى ، الذى قاومه العرب على شواطىء افريقيا الشرقية بصفة خاصة قرونا ، وحين طمع الاوربيون، فى استغلال الموارد الطبيعية فى داخل افريقيا ، بعد ان ادى استغلال الموارد البشرية ، عن طريق تجارة الرقيق الذى مارسوه بوحشية ، دوره الاقتصادى تعرضت القارة لهجمة حربية كبيرة ، بلغت ذروتها فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . كانت القوة التى وقفت فى وجه الغزو الاجنبى ، هى القوة العربية الاسلامية ، وبرزت اسماء ثوار من العلماء ، فى غرب افريقيا ، مثل الحاج عمر تالى ، وفى وسطها مثل عثمان دان فوديو، وفى شرقها مثل الشيخ عبد الله الحسن فى القرن

الافريقى ، والمهدى ورابح الزبير فى السودان الشرقى، والسنوسية فى الصحراء الكبرى ، وفى السودان الاوسط والامير عبد القادر وعمر المختار والاميـر عبد الكريم فى شمال افريقيا ...

وظل الوجود العربى قائما فى افريقيا حتى الستينات من هذا القرن الى أن ضمت جزيرة زنجبار التى كان على راس الدولة فيها حاكم عربى مسلم ، بطريقة ماسوية ، نتيجة لما بثه الاستعمار الغربى من سموم فى العلاقات العربية الافريقية ، الى تنجانيقا وتكونت منهما جمهورية تنزانيا الحالية التى يشكل السكان المسلمون فيها رغم كل شىء اغلبية صامتة .

وفى كل هذه الفترة كان العرب جزءا من المجتمع الافريقى المسلم ، ولم يكونوا ليمثلوا عنصرا دخيلا ، وكان الافريقيون كذلك جزءا عضويا فى النسيج العربى الاسلامى . ولم يكن أمام الاستعمار من قوة حقيقية لمقاومة نفوذه الفكرى والاجتماعى بعد مقاومته العسكرية ، الا القوة العربية الاسلامية . واعتمد الاستعمار على فرض لغته وثقافته ودينه ، على حساب الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، واتخذ لذلك مؤسسات المدارس التبشيرية ، التى كانت تعلم اللغات الاوربية ، وتتعهد الاطفال الافارقة فتنصرهم ، وتغير اسماءهم باسماء مسيحية ، وكان لا بد للاستعمار من الانتظار فترة طويلة حتى تتكون اجيال جديدة وهكذا فعل .

هذا وقد حجب معظم المسلمين ابناءهم عن تلك المدارس ، خوفا على عقيدتهم ، فلما جاء الاستقلال فى الستينات ، وجد المسلمون انفسهم متخلفين ، وكان ان جاء على راس تلك الحكومات الوطنية ، فى البلاد الاسلامية ، حكام من الافارقة المسيحيين الذين تعلموا فى المدارس الاوربية والذين كانوا يعاونون المستعمرين فى الادارة الحديثة ، وفى التنظيم الفنى والتقنى للمجتمع على النمط الاوربى .

هذا وقد ظل الهم الاكبر للاستعمار ، هو : العمل المنتظم المدروس ، على قطع صلة الاجيال الافريقية بالتراث العربى الاسلامى ، فغير كتابة اللغات الافريقية من الحرف العربى ، الذى كتبت به من قبل ، ثلاثون لغة افريقية لمدة قرون الى الحروف اللاتينية وهذا يعنى القطيعة مع التراث الافريقى الذى تراكم خلال قرون طويلة من انتاج العلماء الافارقة ، واهمال ذلك التراث وحجبه عن الافريقيين .

وانه من حق الافريقيين اليوم ان تعاد الصلة الفكرية والثقافية بين العرب والافارقة ، ليتعرفوا على تراثهم وانتاجهم الفكرى ، ومسؤولية العرب فى هذا كبيرة .

وامتداد للتضامن بين قوى التحرر العربية والافريقية من اجل الاستقلال نشا تعاون وثيق بين العرب والافارقة ، فى المجالات الاقتصادية والسياسية فى اطار المنظمات الاقليمية والدولية وفى النطاق الثنائى وهو تعاون ينمو يوما بعد يوم . ومع هذا فان العون الثقافى وهو الذى يزيد مع الزمن ، لانه الاستثمار فى الانسان ، ينبغى ان يعطى اولوية خاصة فى نطاق خطة التعاون العربى الافريقى ذلك ان العون الثقافى هو عون له هوية وشخصية وتعبير انسانى ، اما العون المادى فمع اهميته فانه يمكن ان يأتى من اى مصدر عالمى ، آخر . وحتى فى مجال العون المادى العربى الافريقى ينبغى ان يكون هناك مجال للتفاعل الاجتماعى والانسانى ، وذلك بجعل الخبرة العربية الفنية والمعونة الثقافية موصولتين ، بقدر الامكان ، بوجوه التعاون المادى او جزء من ذلك التعاون .

كذلك فانه ينبغى ان تكون هناك توعية للافارقة وللعرب معا ، بالدور الايجابى وبالاضافة التى قدمها العلماء والافارقة الى الفكر العربى الاسلامى .

ومن وسائل ذلك ، نشر المخطوطات الافريقية العربية والمكتوبة فى اللغات الافريقية بالحرف العربى، ووضع القواميس ، واجراء البحوث حول العلاقات الافريقية العربية وتصحيح التاريخ المشترك الذى شوهه الاجانب واعادة النظر فى المناهج الدراسية ، وتوسيع المنح الدراسية والبعثات العلمية المشتركة، وانشاء اقسام للدراسات الافريقية فى الجامعات العربية وفى الجامعات الافريقية للدراسات العربية وانشاء مركز افريقى عربى ، للقيام على هذه المجالات .

بهذا نكون قد بدانا خطوة صالحة فى مطلع القرن الخامس عشر لتحرك اسلامى فى تجديد العلاقات مع رقعة هى جزء غال على الامة العربية الاسلامية.